جامعة حلوان
كلية التربية الفنية
قسم الأشغال الفنية والتراث الشعبي

فنون الطباعة المعاصرة بين القصد والتلقائية

Contemporary Print Art Amid Spontaneity & Purposefulness

مقدم من
أ.م.د/ آمال عبد العظيم محمد
أستاذ طباعة المنسوجات المساعد
بكلية التربية الفنية

٢٠١١

مقدمه :

ينشأ العمل الفني من فكرة ما في ذهن الفنان يعبر عنها بشكل مرئي، وهو تعبير عن شخصية الفرد بفكرها العقلي وشعورها الوجداني، ومرآة عاكسة للشعور واللاشعور. واتفق في مجال الفنون على أن نتاج الفن التشكيلي عبر العصور لم يكن وليد الصدفة. فهو "نشاط إنساني هادف يحمل في مضمونه قيم فنية وتعبيرية هي بمثابة رسائل موجهة من الفنان المبدع إلى الجمهور المتلقي"(٦-٢٠٠٧- ص٩١). ولذلك يحرص الفنان دائمًا على صياغة أعماله الفنية بصورة يضمن استجابة المتلقي لها، ويتحقق ذلك من خلال النشاط الذهني والتوجية العقلي الذى يوظفة الفنان لإنجاز أعماله الفنية بفكر ومهارات مقصودة. كما أن التلقائية هي شعور داخلى صادق، يخرج في صورة تعبيرات فنية متحررة من كل قيد وتعكس هذه التعبيرات خبرة الفنان وأسلوبه الأدائي في صورة تلقائية، وتكون النتيجة عمل فني متكامل له أصالته وتفرده وتميزه ؛ لأنه في النهاية عمل إبداعي.

والطباعة اليدوية كمجال تطبيقي من أكثر المجالات التشكيلية التي يتم فيها التجريب بشكل واسع نظرًا لتعدد مراحل الإنتاج الفني. بدءًا بالموضوع المتصور أو الفكرة الذهنية ، وإلى تعدد كيفية نقلها إلى حيز الوجود من خلال اختيار الطريقة أو الأسلوب الطباعي، ثم إعداد التصميم المناسب والملائم مرورًا بكثير من عمليات التعديل والتبديل لعناصر التصميم حتي يتحقق تصميم ابتكارى من حيث الفكرة وطريقة المعالجة، ثم تأتي عملية التجريب الطباعي والتي تمر بكثير من المتغيرات والتأثيرات المختلفة التي لا حصر لها أثناء النشاط التجريبي ، وصولاً إلى تنفيذ عمل فني طباعي متفرد تتحقق فيه الكثير من القيم التشكيلية من خلال العلاقات اللونية والملمسية والخطية والتفاعل الفكرى والمهارى مع الخامات والأدوات وسطح المُنتج الطباعي في هذا المجال الثرى والمتجدد . ويمكن أن يطلق على المراحل السابقة بدءًا من التجريب وانتهاءً بالتنفيذ أنه سلوك مقصود.

وحيث أنه قد يحدث أثناء النشاط التجريبي أن يحصل الفنان على بعض النتائج الغير مألوفة ، والغير متوقعة ويغلب عليها الحس التلقائي. وحينما يكون

ممارس الفن على علم واسع بمجال تخصصه فما يكون عليه إلا أن يتفحص تلك النتائج ويتعمق في رؤيتها فنيًا، محاولاً كشف ما بها من قيم جمالية واضعًا في اعتباره كيفية استغلالها وتطويعها في تشكيلات مقصودة وفقًا لتصوراته الخاصة، وتوظيفها لخدمة أهدافه الفنية. حيث أن "لعوامل الصدفة التي يلحظها الفنان أثناء التنفيذ قيمًا جمالية يمكن الاستفادة منها"(١٥-١٩٨٥- ص٢١). وبدون شك إذا توفر للمجرب قدر كافي من الملاحظة والإدراك للعلاقات الجمالية سيكون لديه القدرة على استثمار هذه التشكيلات التلقائية وتطبيقها بصور متعددة في أفكار أخرى جديدة. من منطلق أن التلقائية في الفن يؤكدها (جون ديوي) بأنها عمليات استغراق تام في عملية تطوير منتظم في موضوع جديد يكون له من الجدة والنضارة ما تستحوذ على الانفعال ويعمل على تقويته.

أما الجانب الآخر الجدير بالذكر هو أن مجال الطباعة اليدوية وما يتضمنه من أساليب وطرق متعددة هو في حد ذاته مجال يتحقق فيه كل من الجانب القصدي والجانب التلقائي بنسب متفاوتة بين الطرق الطباعية.

ويمكن تصنيف الأساليب الطباعية والصباغية من هذا المنطلق كالآتي :

- أساليب يغلب عليها الجانب القصدي مثل (بعض طرق طباعة الأستنسل – الشاشة المصورة – القوالب البارزة المصممة –(اللينو والخشب) – الباتيك المعد بفكر تصميمي محدد – العقد والربط المعد بفكر تصميمي محدد).
- أساليب يغلب عليها الجانب التلقائي مثل (مناعات الشاشة المفتوحة (الغير محددة) – الباتيك المعتمد على العفوية في التكسير والتعبير التلقائي الحر – العقد والربط الحر – المونوتيب وما يتميز به من طلاقه تعبيريه) ، على الرغم أن القصد يعتبر هو نقطة الانطلاق عند معالجة تصميماتها.
- أساليب تعتمد على الجانب القصدي والتلقائي وتشمل بعض الأساليب السابق ذكرها في الجانب التلقائي بالاضافة إلى (الطباعة بالقوالب البارزة الجاهزة "البصمات" – الطباعة بورق النقل الحرارى – الرسم المباشر) هذا بالإضافة إلى بعض الطرق الطباعية الجديدة التي أضيفت إلى لمجال الطباعي ويتحقق

فيها الجانب التلقائي بصورة جلية مثل (الترخيم – السكب ،...) وغيرها من الطرق المستحدثة . سواء بدأ الفنان بالجانب القصدي ثم تتوالى التعبيرات التلقائية تبعًا للمدرك البصري، أو بدأ الفنان بالتعبيرات التلقائية كمنطلق ثم يبدأ في التفكير القصدي تبعًا للمدرك البصري أيضًا. وهذا يؤكد أن الاعتماد على كل من الجانبين القصدي والتلقائي له أثر فعال على العمل الطباعي المعاصر.

ورغم تعدد وجهات النظر حول أهمية كل من القصد والتلقائية في إنجاز العمل الفني بصورة عامة في الفنون التشكيلية فيما بين مؤيد لأهمية سيطرة الجانب القصدي، وبين منادي بأهمية التلقائية. نجد أن مجال الطباعة اليدوية من المجالات التي تجمع بين الجانبين (القصدي والتلقائي) بشكل فعال ومثمر، وتعتمد على الفكر التصميمي المقصود، والتصور المسبق للفكرة وفق الأطر المتعددة لتناول كل أسلوب طباعي على المستويين :

المستوي الأول : إذا كانت التلقائية وما يترتب عليها من جماليات تنبثق وتتوالد أثناء الممارسة التجريبية والتي تحقق نوع من المفاجأة للممارس، وهي ما يطلق عليه الصدفة الفنية.

المستوي الثاني : إذا كانت التلقائية وما تتضمنه من طلاقة ومرونة وأصالة سمة مميزة في بعض أساليب الطباعة والصباغة.

خاصة وأن التقدم العلمي في تكنولوجيا الخامات والأدوات، وظهور تيارات فنية متلاحقة غمرت ساحة الإبداع الفني وأضافت أبعادًا ورؤى حديثة ومتجددة للتجريب في الطباعة اليدوية مما انعكس بشكل فعال وجلى على الأساليب الطباعية والصباغية، والتقنيات وطرق الأداء التقليدية والمستحدثة. كما لاقت العملية الإبداعية في المجال الطباعي قدرًا من الحيوية والحرية، والتعبير التلقائي الناتج عن دوافع الفنان الداخلية، وتحققت تغييرات شاملة في الفكر الفني، وأيضًا في النمطية التقنية. وأصبح السطح الطباعي يمثل الساحة التي يعمل عليها الفنان، وليس باعتباره الفراغ الذى ينتج عليه عملاً معينًا يقوم بإعادة تصميمه أو تعبير عن أشياء موجودة بالفعل

من منطلق أن "القماش وغيره لم يعد يمثل الوسط الذى يشكل ويصاغ عليه العمل، بل إنه يميل إلى أن يعتبر حدثًا معينًا ، حيث يتشكل الفعل والأداء النهائي من تزامن التمثيل والفعل الأدائي"(٢٣- ١٩٩١- ص٦٧).

كما أن للوسائط التشكيلية المستحدثة في مجال الطباعة وما ينتج عنها من قيم تشكيلية وتعبيرية متعددة أثر فعال في ظهور الجانب التلقائي نظرًا ؛ لأن الاتجاه المعاصر في مجال الطباعة لم يعد قاصرًا على السمات والحدود المتعارف عليها في الأساليب الطباعية التقليدية والغير تقليدية، بل تطورت طرق الأداء وتناول التقنيات وتشعبت في اتجاهات عديدة، وامتد هذا التطور ليشمل الحرية في الأداء والتعبير بطلاقة ومرونة، وإطلاق العنان للخيال، والمحاولات التعبيرية التلقائية وعلى هذا تتحدد مشكلة البحث فيما يلي :

"يمكن لتكامل العلاقة بين الجانبين القصدي والتلقائي أثر في زيادة فاعلية العملية الابتكارية لصياغة العمل الفني الطباعي المعاصر".

فروض البحث :

لتطويع العلاقة بين الجانبين القصدى والتلقائى أثر في تفعيل العملية الابتكارية في العمل الطباعى المعاصر.

أهمية البحث

١- الكشف عن دور القصد التلقائية في مجال الطباعة اليدوية.

٢- يسهم البحث في تحديد وتصنيف الأساليب الطباعية فيما بين القائم على القصد ، القائم على التلقائية والقائم على الجمع بين القصد والتلقائية.

٣- يتعرض البحث لمختارات من الأعمال الفنية الطباعية وتحديد دور كل من القصد والتلقائية بها.

٤- يلقي البحث الضوء على أهمية التلقائية كسمة فنية ترتبط بالخيال والمرونة وتسهم في إثراء الجانب التعليمي.

أهداف البحث :

١- التأكيد على الاهتمام بالجانب التلقائي في الطباعة اليدوية على المستويين الأول (الخاص بطبيعة الأسلوب الطباعي) والثاني (الخاص بما يتوالد ويتم اكتشافه أثناء التجريب) وذلك لتفعيل العملية الابتكارية.

٢- الوقوف على مدي توفر الجانب التلقائي في أساليب الطباعة وتحديد دورها من حيث القيمة والأهمية، واختلاف نسبتها من أسلوب طباعي وصباغي إلى آخر وفق الهدف والمضمون المراد تحقيقه في العمل الطباعي.

٣- التأكيد على ضرورة التزاوج بين الجانبين القصدي والتلقائي في تناول الأعمال الفنية الطباعية المعاصرة.

٤- تشجيع الاتجاه نحو الميل إلى الطلاقة والمرونة والاستخدام الغير تقليدي للأشياء من قبل الدارسين وفقًا للمتغيرات الحديثة.

حدود البحث :

١- يقتصر البحث على عرض مختارات من الأعمال الفنية الطباعية التي يتضح فيها الجانب القصدي، والجانب التلقائي.

٢- استعراض لمجموعة من الأعمال الفنية الطباعية تتميز بالجمع بين الجانبين القصدي والتلقائي.

منهجية البحث :

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي حيث قامت الباحثة بإلقاء الضوء على مفهوم القصد والتلقائية، ومدي ارتباط الأساليب الطباعية بذين المفهومين وعرض مختارات من الأعمال الفنية الطباعية والصباغية وذلك من خلال المحاور الآتية :

المحور الأول : مفهوم القصد ، وارتباطه بالعملية الإبداعية في مجال الطباعة.

المحور الثاني : مفهوم التلقائية ، وارتباطه بالعملية الإبداعية في مجال الطباعة.

المحور الثالث : فاعلية التكامل بين القصد والتلقائية في المجال الطباعي وأثره على العمل الفن الطباعي المعاصر.

المحور الأول : مفهوم القصد، وارتباطه بالعملية الإبداعية في مجال الطباعة

مفهوم القصد : يعد القصد هو ذلك النشاط الذى يسبقه تخطيط منذ البداية حتي النهاية، وهو سلوك مقصود على مستوي الخبرة الإنسانية، وكذلك هو هدف نشاط الفنان كما تخيله ويقع في نطاق تجربته الخاصة، ويتم عن وعي الانسان ويميز خبرته. ويعد التفكير هو مظهره الأساسي، وهو مظهر من مظاهر النشاط الإنساني ليكون قادرًا على التكيف مع متطلبات الحياة المتباينة. "فالفرد يقوم ببناء عالم داخل عقله ثم يعيش في هذا العالم الذى تم بناءه وتكوينه"(١٦- ١٩٩٦- ص٣١). ويشمل التفكير كل العمليات العقلية من تذكر ، تصور ، فهم ، تحليل ، استدلال ، تعليل ، تخطيط ، تصميم ، ونقد. فالتفكير"يعد منظومة عمليات معرفية متمايزة ، متفاعلة وهي قابلة للقياس، التدريب، والتنمية ، كما أنها قابلة للاختزال والضمور"(١١- ١٩٩٧-ص٣).

وبناء على ما سبق يمكن طرح تعريف إجرائي للقصد في مجال الطباعة وهو القيام بعمليات التفكير كسلوك أو نشاط من قبل الفنان الممارس للطباعة يتجه فيها لتكشف ورؤية وفهم الطبيعة ، والبيئة ، وكل المظاهر الكونية المحيطة من خلال الرؤية البصرية، والتي تعتبر الخطوة الأولى والأساسية نحو الرؤية الفنية بما فيها من إدراك ، خيال، تفكير، تصورات، تخطيط، تعديل ، وتقويم.

أى أن هناك تجهيزات داخل نفس الفنان، ثم يقوم بعد ذلك بممارسة العمليات الإجرائية المقصودة والتي تمكنه من تجسيد كل ذلك بواسطة مجموعة المدخلات والمعطيات الفنية الخاصة بالأساليب الطباعية والتي تستثمر وتوظف من خلال خبرة الفنان السابقة. "وبغض النظر عن الكيفية أو الطريقة التي تنمو وتتطور بها الأفكار التصميمة، فإن طريقة تنظيم تلك الأفكار هي أساس بناء القيم التشكيلية والتعبيرية"(١٠- ١٩٨١- ص٢٤٣).

القصد والعملية الإبداعية في مجال الطباعة :

تتم عملية الإبداع في مجال الطباعة اليدوية من خلال البحث عن العلاقات والصياغات التشكيلية القائمة على التكامل بين (التفكير الذهني والتفكير العملي) ولا

يتم تحقيق التكامل بدون الجانب التجريبي "وهو يأتي في اتجاهين : أولهما يتعلق بتحقيق جوانب ابتكارية، وثانيهما يتعلق بجوانب تقنية ولا غني لأحد الجانبين في بناء العمل الفني"(١٣- ٢٠٠١- ص١٥٥). ويمكن أن يطلق على ذلك (التصور المسبق للفكرة) وهي "مرحلة التهيئة العقلية لتكوين مدركات محددة نحو التصور المسبق لتصميم العمل بدلاً من الاعتماد على الصدفة الفنية وتلقائية النتائج من خلال توجيه الانتباه للمدركات البصرية"(٣- ٢٠٠٧- ص٤٣). ولا يكون ثمة إبداع فني في نظر "هيجل" الا "حينما يبرز العقل المنتبه الهامه في مضمون موضوعي، وإذا برزت الفكرة الإبداعية للعقل الواعي بدافع من الانفعال والنشاط الداخلى الذى يأخذ شكل الطاقة أو الرغبة فحينئذ يندفع الفنان للقيام بتشكيل العمل الفني مستخدمًا الصيغة الفنية والخامة والموهبة"(٧- ١٩٦٣- ص١٢٦) ويرى كثير من المفكرين أن التغيرات الفكرية للعملية الإبداعية تنقسم إلى (الاستعلام المبدئي عن المشكلة – الكمون – الإشراق – التحقيق) أما إذا ظهرت الفكرة تلقائيًا فهي تحتاج إلى تنمية واعية لظهورها.

ومما سبق يمكن تحديد مفهوم القصد عند تناول الأساليب الطباعية في الآتي:

١- تحديد نقطة البداية من خلال (الاستعلام المبدئي عن الأسلوب الطباعي وتقنياته). (المشكلة)

٢- وضع أطر تنظيمية في ضوء الفكرة المطروحة. (الكمون)

٣- إتاحة قدر من المرونة وحرية التعبير. (الإشراق)

٤- استخدام البدائل المتنوعة أثناء التجريب الطباعي لتحقيق الفكرة. (التحقيق)

وتوضح الأشكال من (١) إلى (٤) بعض الأعمال الطباعية التي يغلب عليها الجانب القصدي.

المحور الثاني : مفهوم التلقائية ، وارتباطه بالعملية الإبداعية في مجال الطباعة

مفهوم التلقائية : تعتبر التلقائية تعبير صادق عن النفس معبر بحرية عما بداخل الفنان من أفكار ومشاعر من خلال الوسيط المادي الذى يوفره عصره،

وتكون النتيجة عمل فني متكامل له أصالته وتفرده . حيث تكون الخامة والصيغة والأداء جميعها على هامش شعوره، وما هي إلا أدوات تساعد على تنفيذ ما يجول بداخله. وهي سلوك غير مقيد وحالة لا شعورية لا تأتي حينما يريد الفنان. ويتبلور مفهوم التلقائية في أنها "سلوك الفنان الذى يعتمد فيه على حريته ومشاعره وأحاسيسه وفيضه وتوهجه وتدفق أفكاره أثناء العمليات المتعددة للعمل الفني، كما أن للتلقائية علاقة عضوية بعاملى الطلاقة والمرونة في منظومة العمليات الإبداعية، ولا نستطيع الفصل بينها أثناء الممارسة الفنية"(٢- ١٩٩٨- ص١٨٠). فعندما يستغرق الفنان في فيض أحاسيسه ويترك لأفكاره التدفق والاسترسال يخرج تعبيرًا تلقائيًا لا شعوريًا"(١٢- ٢٠٠٤- ص٤).

كما أن التلقائية هي "نوع من أنواع السلوك الذى يشمل الفكر والأداء، ويشمل الفكر (الشعور واللاشعور)، والتلقائية هي عملية إبراز المشاعر تحت مستوي اللاشعور، وهو يمثل المنبع الذى يمد العقل الإنساني بتلقائية"(٢٠- ١٩٨١- ص١١٣). كما كشف فرويد الدور الذى يلعبه اللاشعور في العملية الإبداعية حيث أنه "يعد جهاز الإبداع والابتكار وهو المصدر الذى تصدر عنه النظريات العلمية والفلسفية، كما تصدر عنه الأفكار والتصورات الفنية على حد سواء"(٨- ١٩٩٥- ص٣٣٨).

ومن المفهوم السابق يمكن أن نعرف التلقائية في مجال الطباعة اليدوية بأنها الحرية القائمة على الاختيار النابع من ذات الفنان، ولا تعني هذه الحرية الفوضى أو ما يسمي بالعشوائية، بل تعني الحرية في أداء العمل الذى يقوم الفنان باختياره. و"تلك الحرية تنبع من ذات الشخص ويكون الإحساس هنا أقوي من التفكير ، ومع ذلك يتوافر النظام في العمل الفني نتيجة للانسجام بين العناصر"(١- ١٩٨٩- ص٤).

وتبين من ذلك أن الفنان بصدد أكثر من مدخل للبدء في العمل الطباعي.

الأول : أن تأتي القصديه أو الشعورية كمرحلة تابعة للتلقائية ويتعامل فيها الفنان مع العمل الفنى بقصد تام ويطوع تعبيراته التلقائية لخدمة الصياغة الفنى.

الثانى : التهيئة العقلية لتكوين مدركات محددة وتوجيه الانتباه للمدركات البصرية نحو التصور المسبق لتصميم العمل الطباعي.

الثالث : الاعتماد على التلقائية الفنية وترك العمل الطباعي بتلقائيته وانطباعاته الأولى.

التلقائية والعملية الإبداعية في مجال الطباعة اليدوية :

يتجه فكر الفنانين في مجال الطباعة في البحث الدائم عن وسائط وأساليب جديدة للتعبير عن رؤى فنية في ضوء معطيات العصر ومتغيراته مما ساعد على ظهور أشكال جديدة للتعبير الفنى، وأضفي متغيرات في الفكر الفلسفي والتقني، وأساليبه الأداء، وشكل ومضمون العمل الفنى الطباعى. كما اتجه عدد ليس، بالقليل إلى الأعمال الغير مطابقة لموضوعات الطبيعة، وتأثروا بما يطلق عليه "إظهار الحقائق الخاصة بواسطة الخيال وصور الأحلام والاستفادة من الصدفة"(١٨- ١٩٨٨- ص١٨٨).

والعملية الإبداعية في مجال الطباعة وما تتضمنه من صيغ تتميز بالعفوية والتلقائية تنبع من :

١- الاستفادة من الصدفة والتأثيرات التي تنتج من تلاشى فعل السيطرة على الأشكال.

٢- الطرق الأدائية الجديدة لتناول الأساليب الطباعية والصباغية.

٣- استخدام العجائن الطباعية وتوظيف اللون بانفعالات مباشرة لا ترتبط بأى شكل.

٤- التقنيات المستحدثة واستخدام الوسائط التعبيرية الجديدة.

وعلى ذلك تعتبر التلقائية في مجال الطباعة هي عملية تشكيل إبداعية، ويحدث هذا الإبداع في داخل اللاشعور، ويحاول الفنان إبرازه عبر الوسيط المادى بواسطة التعبير التلقائي حيث "يأخذ شكل رغبة ويستعين الفنان بكل خبرته في تنفيذ الفكرة خارجيًا ويأتى هذا منطويًا على ضرب من التلقائية"(١٤- ١٩٩٠- ص١٢) .

كما أن عملية الإبداع في الفنون عامة ومجال الطباعة خاصة عادة "ما تفجرها بعض المثيرات البصرية كالأشياء التي تقع على عيوننا مهما كانت بسيطه أو أولية، وإدراك بعض الأشياء العادية وربما المألوفة بصورة جديدة ومغايرة. وقد يجد الفنان إلهامه تحت قدميه أو من حوله، أو يعثر عليه داخل نفسه"(٢٢- ١٩٨٥- ص١٨٩: ١٩٢). "وربما توحي الضربات التلقائية بتصميم معين يتصل بموضوع ما ، أو توحي الألوان بعناصر تشكيلية أو أشكال معينة لا يراها سوى الفنان"(٤ - ١٩٨٩- ص٧٨).

وتوضح الأشكال من (٥) إلى (٨) بعض الأعمال الطباعية التي يغلب عليها الجانب التلقائي.

مجموعة من الطرق الأدائية التي تتمتع بصيغة التلقائية :

١- سكب اللون على سطح العمل الطباعي أو قذفه أو توزيعه بمعدلات تتفاوت في قوة اندفاعها وفي أشكال متجانسة تختلف من مكان لآخر، ومن أداة لأخرى بنفس اللوحة فتبدو في تركيبات لونية متداخلة تعطي قيم ملمسية سطحية متباينة تعتمد أحياناً في فهمها على نوع من الإسقاط النفسي.

٢- إمكانية الخلط والمزج لعجائن البجمنت على سطح الشاشة الحريرية بصور متنوعة.

٣- توزيع اللون بشكل حر على السطح الطابع في أسلوب المونوتيب.

٤- التنوع في حركة الأداة الحاذفة والخادشة للون في أسلوب المونوتيب.

٥- طريقة الترخيم أو التجزيع Marlbing وهي طريقة تتضمن جانب تلقائي كبير، كما أنها تتم بطرق متنوعة في الأساليب الطباعية والصباغية ، وتختلف تأثيراتها من أسلوب لآخر. فالترخيم في العقد والربط يختلف عن التجزيع في الباتيك، والاثنان يختلفان تمام الاختلاف عن طريقة الترخيم المعروفة بفن (الإبرو) الناتجة عن سحب اللون من فوق سطح سائل لا تذوب فيه.

٦- استخدام الفنان لأداة في نقل اللون على السطح الطباعي بطلاقة وتلقائية تنبع من ذاتيته يمكن أن ينتج عنها اختلاف في التأثيرات مع أن الأداة واحدة.

٧- استخدام أدوات التنفيذ الغير تقليدية والغير متعارف عليها في المجال، وهذا ما أكده الفنان "جاكسون بولوك" في أعماله.

٨- خلط ملونات البجمنت مع المتخن بصورة غير منتظمة للحصول على تأثيرات لونية ملمسية رخامية الشكل وذات تجزيعات مختلفة وبخاصة مع سحب الألوان في الشاشة الحريرية.

وبالرغم من أن مجموعة الطرق الأدائية الطباعية السابق ذكرها أمثلة وليست حصر فهي تتميز بالعفوية والتلقائية ويدخل فيها عامل الصدفة الفنية بنسب متفاوتة. إلا أن الفنان حين يقوم بالأداء الطباعي يطبق ذلك بكيفيات مهارية وتعبيرية مختلفة ويستفيد منها تشكيليًا بما يخدم أغراض فكرته الفنية من منطلق أن "أى انطلاق فني يتطلب بالضرورة طواعية للوسيط أو الخامة أو أداة التعبير"(٩- ١٩٩٢- ص١).

المحور الثالث : فاعلية التكامل بين القصد والتلقائية في المجال الطباعي وأثره على الفن الطباعي المعاصر

يعني هذا المحور بإلقاء الضوء على المراحل التي تتم في معالجة الصياغات التشكيلية الطباعية ، بدءًا من التصور المسبق لفكرة العمل، واختيار العناصر الملائمة للفكرة ، واستكشاف الإمكانات التشكيلية للأسلوب الطباعي، وهذه المرحلة تجمع بين القصد والتلقائية حيث يترك الفنان العنان لخياله أثناء عملية الاستكشاف للتوصل إلى أقصى استفادة من عملية التجريب.

وفي أثناء التفاعل التجريبى مع الأداء الطباعي يظهر الجانب التلقائي بصورة أكبر وترتبط هذه المرحلة بالطلاقة والمرونة والخيال ويقصد بعامل المرونة هنا ميل الفنان إلى إعادة بناء عمله الفني بسرعة وفقًا للمقتضيات الجديدة والمتغيرة وقدرته على تنويع رؤيته لشكل ما.

وتعني المرونة التلقائية أو التلقائية المرنة الاستخدام الغير عادي للأشياء، والميل إلى الإبداع في أكثر من إطار أو شكل، وذلك من شأنه أن يخلق أمام الممارس للفن

في مجال الطباعة حالة من (التحول المرن بين الفكرة للمقصودة والتعبير التلقائي)، وكذلك حالة من الاستدعاء المستمر للاكتشافات الجديدة أثناء التنفيذ الطباعي.

كما أن الخيال هنا ليس بالشئ الحر المطلق أو المنفصل تمامًا عن الواقع. فالفرد نفسه ما هو إلا حصيلة التجارب والخبرات التي اكتسبها نتيجة التفاعل المستمر بينه وبين المحيط الذي يوجد فيه، ويعتبر الخيال من أهم الدعائم التي يرتكز عليها العمل الابتكارى في المجال الطباعي حيث أنه يتطلب الكثير من التحريفات الشكلية عن الواقع، وإيجاد علاقات جديدة بين الأشياء ، وتركيبات وصياغات مستحدثة عديدة من الأشكال وهذا بطبعة لا يتأتي إلا من خلال عملية التخيل. ويدعم ذلك عملية الشحن الذاتي المسبق بالأفكار التصميمية التي تتسم بالطلاقة والمرونة، والذى يؤدي إلى "حالة من التهيئو والرغبة في التطبيق الفني لاحتواء الفكرة بطريقة تساعد على الاندماج في مرحلة الأداء الطباعي(٣- ٢٠٠٧- ص٤٣).

وتوضح الأشكال منى (٩) إلى (١٢) أعمال طباعية معاصرة يتضح فيها الجانب القصدي والتلقائي.

فنون الطباعة المعاصرة :

اشتقت المعاصرة من انعكاس الثقافة الحديثة أو أسلوب الحياة الحديثة على الإبداع فإذا كان الفنان متوافقًا معها في الرؤية الحضارية وطريقة الإدراك والتفكير سرعان ما يغير أسلوبه الإبداعي بما تقتضي الظروف المستحدثة واتسم بالمعاصرة. وهنا تبرز أهمية جرأة المبدع في مجال الطباعة على استخدام القوالب الجديدة والتركيبات الغير مألوفة، وهو في سبيل ذلك يحقق لنفسه أسلوبًا متفردًا ويشكل بمهاراته الأدائية طرقًا غير مسلوكة من قبل. "وهنا تبرز أهمية البعد التشكيلي في الخبرة الجمالية باعتباره أهم الأبعاد المكونة للجانب الجمالى في السلوك الإبداعي أثناء لحظات التنفيذ، وليس معني ذلك أن الخبرة الجمالية أثناء الأداء قاصرة على هذا البعد"(٢١- ١٩٧٤- ص١) . فهناك أبعاد أخرى مثل "البعد المعرفي العقلي الذهني بقدراته واستعداداته المعرفية، والبعد الوجداني بما يتضمنه من داوفع واتجاهات وميول، وبعد اجتماعي ممثل في قيم الجمع وما تتفق عليه وما تختلف

فيه"(١٩- ١٩٨٥- ص٥٥) وجميعها تواكب العملية الإبداعية من بدايتها إلى نهايتها ولكن بنسب متفاوته. كما أنه ليس وجود لثوابت معينة أو نهج محدد لحياة الفنان، ولكن الثابت هو صدق الانفعال والتحديث والتجديد في الأساليب والتقنيات الطباعية مع الالتزام بالأصول والجذور والاستلهام الواعي للثقافة التقليدية في مجال الطباعة مع فطرة الأداء وتلقائية التعبير، والبعد عن التقليد والافتعال ، ويمكن أن يتحقق هذا بحس وجداني وذهن عقلاني منظم.

والعمل الفني الطباعي مثله كأى عمل فني هو عبارة عن رسالة مرئية تحمل فكرة تؤدي إلى معني يستقبله المتلقي في صورة أشكال، والفكرة هي مضمون العمل الفني. ودائمًا يحاول الفنان المعاصر في مجال الطباعة استلهام الأفكار والمتغيرات التي في المجتمع، وإعادة تشكيلها وصياغتها. وفناني الطباعة المعاصرين اعتمدوا في الصياغات التشكيلية على جانبين :

الجانب الأول : يعتمد على التجريب في التقنيات التقليدية والمستحدثة.

الجانب الثاني : يعتمد على المدارس والاتجاهات الفنية الحديثة، وفنون الحضارات القديمة، وفي بعض الأحيان يتم المزج بينهم.

وبالبحث في دور كل من القصد والتلقائية في مجال الطباعة المعاصرة يتم تشجيع الدارسين والممارسين على البحث عن حلول ومداخل جديدة في تفكيرهم الابتكاري، والاستعانة بالنظريات الحديثة والمعاصرة. ولتحقيق ذلك يجب التفاعل مع الاتجاهين المتمثلين في (الاتجاه الذى يسعي إلى الحفاظ على الصياغات التشكيلية المقننه، وإحكام العلاقات في ضوء وحدة البناء التصميمي والتقني ، وبين الاتجاه الذى يسعي إلى عالمية الفن، والحرص على تحقيق الأصالة في العمل الطباعي، والفكر المتجدد والمتطور والمرتبط بطموحات الفنان) "فالفنان حين يستخدم تجربته الشخصية وانعكاسات البيئة المحيطة به من مختلف جوانبها والتي يعجز عن إيصالها بشكل مباشر من خلال الطرق التقليدية والمتداولة، لكنه يعاود تشكيلها بصياغات فنية محققًا بذلك لغة تواصل جديدة خاضعه لعناصر جمالية تعبر عن عالمه الداخلى وعن وعيه بالعالم الخارجي"(٥- ٢٠٠٩- ص٧٦) وذلك من خلال البحث عن طرق

أصيلة في التفكير تتميز بثراء التداعيات والأفكار الغير معتاده في الطباعة اليدوية فيأتي تأكيد الفنان على عناصر الجدة والتلقائية وذلك نتيجة نزوعة نحو "الغريب والغير مألوف مكانيًا وزمانيًا . على أساس أن "فلسفة العصر الحديث قدرت قيمة الإنسان المتكامل الذى يمثل وحدة الاتجاهات المتضادة على أساس أن الإنسان مهما بلغ من مستويات العقل والإرادة فإنه لا يسغني عن طريقة التوجه بالدوافع"(١٧- ٢٠٠٠- ص١٤٠).

نتائج البحث :

١- تعددت التقنيات الجديدة في مجال الطباعة مما أتاح معها التنوع في طرق الأداء لكل فنان وإبراز الجانب التلقائي.

٢- يستطيع الفنان المعاصر التعبير عن فرادته وشخصيته الفنية عندما يبتدع أشكالاً ومفردات وأساليب خاصة به في مجال الطباعة.

٣- أسلوب أداء الفنان هو الذى يحدد وسيلته التعبيرية في إظهار العمل الطباعي كما يراه.

٤- يتحقق الحس التلقائي والحرية في الفكر التصميمي من خلال الخروج عن الصور المألوفة والتقليدية في المجال الطباعي.

٥- تعتبر الصياغة التشكيلية للعمل الطباعي المعاصر ترجمة صادقة لمدركات الفنان الوجدانية والحسية.

٦- ليست هناك صياغات متعارف عليها تمثل الحد الأمثل ، فالصياغة تتميز بالفرادة والتلاءم والتكيف والانبثاق من طبيعة العلاقات السائدة في العمل الفني.

٧- يتكامل الجانب القصدي والجانب التلقائي ليشكلا سمات الفنان المعاصر في مجال الطباعة.

٨- كان للتيارات والمدارس الفنية الحديثة أثر في تغيير مفهوم التعبير الفني في مجال الطباعة من حيث الشكل والمضمون.

التوصيات :

١- يوصي الباحث بالاهتمام بالجانب التلقائي في الأعمال الطباعية من منطلق أنه نوع من السلوك يشمل الفكر والأداء يعبر الفنان من خلاله بصدق عما بداخله من أفكار ومشاعر من خلال الوسيط المادي الذى يوفره عصره.

٢- الاهتمام بالتلقائية والتعبير التلقائي عند تدريس مقررات الطباعة ضرورة من أجل الفروق الفردية في مجال التعليم العام.

٣- إلقاء الضوء على الجانب التلقائي في مجال الطباعة من خلال الأبحاث التي تتناول التلقائية في فنون الأطفال، والفن الفطرى، والفن المعاصر، وعقد المقارنات لتحديد السمات المشتركة وأوجه الاختلاف.

٤- التأكيد على بناء القدرات الإبداعية من خلال تنمية السلوك الابتكارى في المجال الطباعي وتاصيل عامل المرونة والطلاقة والأصالة وغيرها.

٥- عندما يكون العمل الطباعي غير مفهوم أو مفهوم من قبل معاصريه فمن المحتمل أن يكون مبشرًا بأسلوب جديد أو خلاقًا لأسلوب مبتكر.

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

١. أحمد عبد الغني : ١٩٨٩م، التلقائية في فن العمارة ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة ، جامعة حلوان.

٢. أحمد محمد عبد الكريم : ١٩٩٨م ، دور القصد والتلقائية في تصميم اللوحة الزخرفية، بحث منشور، مجلة بحوث كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.

٣. احمد محمود سليمان : ٢٠٠٧م، الطباعة الأحادية بين التلقائية والأحكام التصميمي في مطبوعات الشاشة الحريرية والمونوتيب، بحوث في التربية الفنية والفنون، المجلد ٢١.

٤. إدريس فرج الله : ١٩٨٩م، التشكيل اللوني في الطباعة ، المكتب الجامعي الحديث، جامعة الإسكندرية.

٥. أشرف السيد العويلي : ٢٠٠٩م ، الأنظمة السيمائية بين التواصل والدلالة في التصوير المعاصر ، بحث منشور، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون ، المجلد ٢٦ ، العدد ٢٦ .

٦. أميرة حسن مصطفي : ٢٠٠٧م ، أهمية تطويع العلاقة والتلقائية في تكوين الصورة ، بحث منشور ، بحوث التربية الفنية ، العدد الحادي والعشرين .

٧. جون ديوي : ١٩٦٣م، الفن والخبرة ، ترجمة زكريا إبراهيم ، دار النهضة.

٨. حامد عبد السلام زهران : ١٩٩٥م، الصحة النفسية ، عالم الكتب ، للطبعة الثالثة.

٩. سلوى شعبان : ١٩٩٢م، تنظير معرض "لوحات تصويرية في فن صباغة العقد والربط.

١٠. شاكر عبد الحميد : ١٩٨١م ، العملية الإبداعية في فن التصوير، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت .

١١. صفاء الأعسر : ١٩٩٧م ، تعليم من أجل التفكير ، دار قباء للنشر ، القاهرة.

١٢. صفاء محمد السبكي : ٢٠٠٤م، التلقائية في التصوير الحديث والمعاصر كمدخل لإثراء التعبير الفني لدي تلاميذ المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان.

١٣. عفاف عمران : (٢٠٠١م، استحداث مجالات إبداعية بالتوليف بين أسلوب بالطباعة بالاستنسل والشاشة الحريرية ، بحوث في التربية الفنية والفنون ، المجلد الثالث ، العدد الثالث .

١٤. عماد علي حسن : ١٩٩٠م، التلقائية في فن النحت ، رسالة دكتوراه ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة حلوان.

١٥. فتحي عبد الحميد : ١٩٨٥م ، فن الحفر المصري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.

١٦. مجدي عبد الكريم ، ١٩٩٦ : التفكير (الأسس النظرية والاستراتيجيات) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

١٧. محسن محمد عطيه : ٢٠٠٠م، القيم الجمالية في الفنون التشكيلية، دار الفكر العربي، الطبعة الأول .

١٨. محمود أبو المعاطي هيكل : ١٩٨٨م، دراسة مقارنة لجوانب التصوير الغامض في مختارات من التصوير القديم والحديث، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.

١٩. مصرى عبد الحميد حنورة : ١٩٨٥م، سيكلوجية التذوق الفني، دار المعارف.

٢٠. هربرت ريد : ١٩٨١م، الفن اليوم ، ترجمة محمد فتحي ، عبده جرجس ، دار المعارف.

ثانياً : المراجع الإنجليزية :

21. Berlgne D.E., 1974: Studies in the experimental eathetics Hemisphere publishing, washing tom.
22. Collier Crahan : 1985, Form space an dvision prentice Hall, Inc. Englewood clifis , New Jersgy.
23. Jacks Son Pollok, 1991 : Modern masters, Robert Hobbs, Abbeville press publishers, New York.
24. Donaz Meilach,1973: Contemporary "BATIK and Tie Dye", Methods insriration, London, George Allen & Unwinltd.
25. http://www.robinparis.co.uk/index.htm

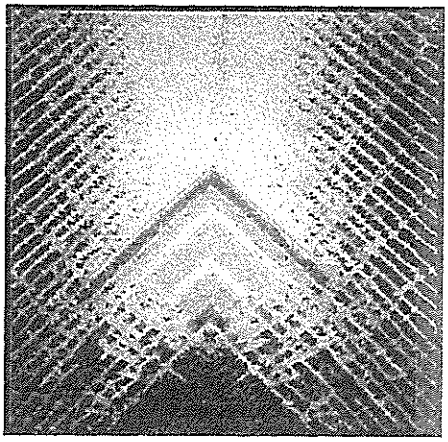

شكل (١)

عن سلوى شعبان : معرض لوحات في فن صباغة العقد والربط ، ١٩٩١

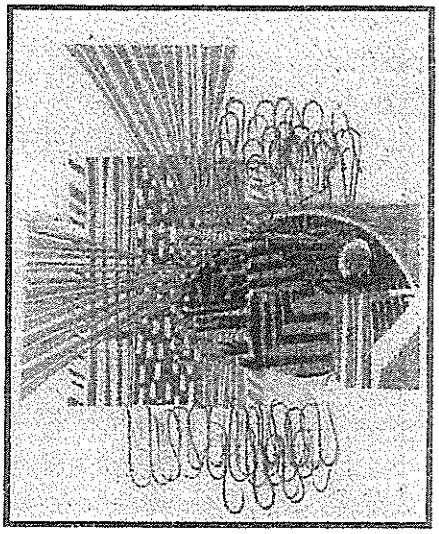

شكل (٢)

عن بلال مقلد : معرض ملامس خطيه ، اتيليه القاهرة ، ٢٠٠٥

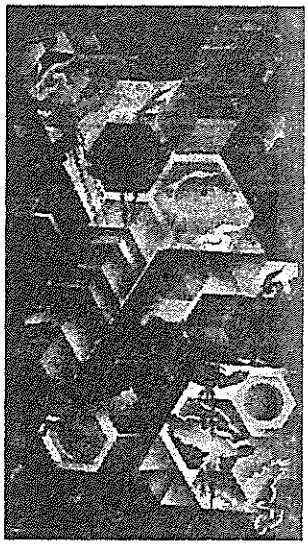

شكل (٣)

عن محمود عبد الرحمن : استحداث معالجات للصبغات المشتته ، رسالة دكتوراه ، ٢٠٠٣، ص١٧٨

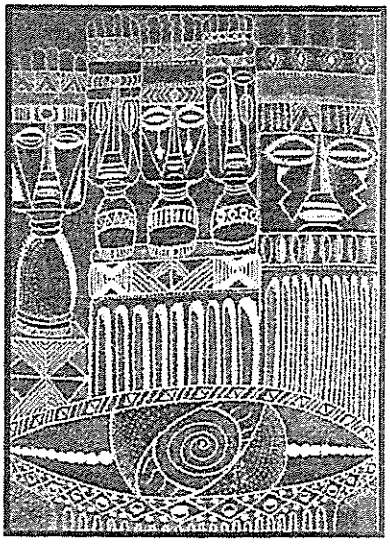

شكل (٤)

عن منى إبراهيم : معرض رموز من الفن الإفريقي، قاعة حورس ، ٢٠١٠

أعمال طباعية يغلب عليها جانب القصد

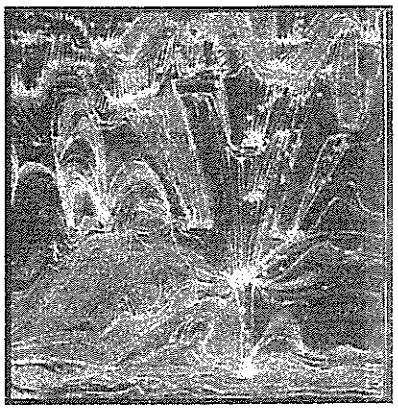

شكل (٥)

عن عفاف عمران : معرض رؤى معاصرة في فن الباتيك ، ١٩٩٧

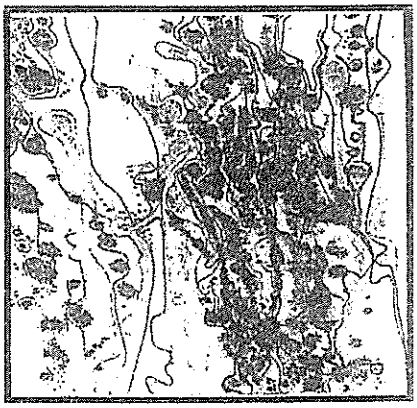

شكل (٦)

عن Contemporary "BATIK and Tie Dye, 1973, P.111

رسم مباشر على القماش ، الفنانه Bill Hinz

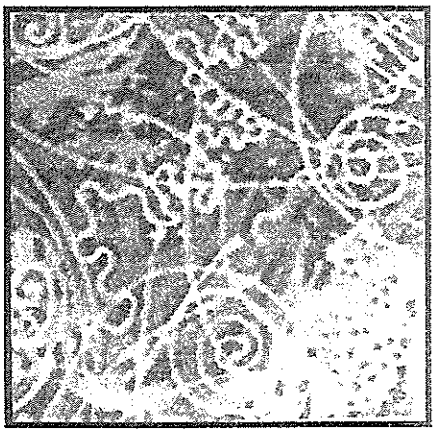

شكل (٧)

عن :

http://www.robinparis.co.uk/index.htm

رسم مباشر بالباتيك ، للفنانه Robin Paris ، ١٩٩٧

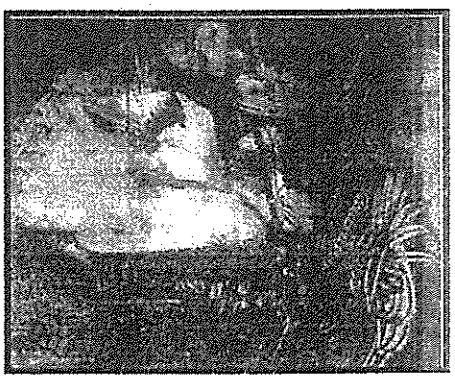

شكل (٨)

عن أحمد محمود سليمان ، ٢٠٠٧م ، مرجع سابق، ص٥٣

أعمال طباعية يغلب عليها الجانب التلقائي

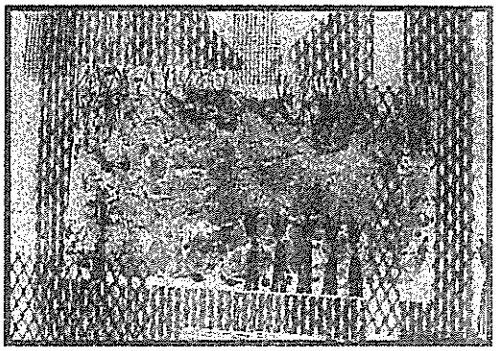

شكل (٩)

عن بلال مقلد : معرض الترخيم والملمس ، ٢٠٠٠

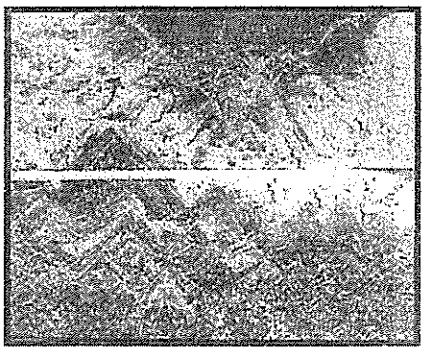

شكل (١٠)

عن عفاف عمران : معرض القيم التعبيرية من خلال جماليات فن الباتيك ، ١٩٩٩

شكل (١١)

عن ثناء عز الدين : معرض سحر ما فات ، قاعة دروب، ٢٠١٠

شكل (١٢)

عن آمال عبد المظيم : معرض تراكبات وحوارات لونية، قاعة حورس ، ٢٠٠٥

أعمال طباعية بتضح فيها جانب القصد والتلقائية

فنون الطباعة المعاصرة بين القصد والتلقائية

ملخص البحث

تعددت وجهات النظر حول أهمية كل من القصد والتلقائية في إنجاز العمل الفني بصورة عامة في الفنون التشكيلية فيما بين مؤيد لأهمية سيطرة الجانب القصدي، وبين منادي بأهمية التلقائية. إلا أن مجال الطباعة اليدوية من المجالات التي إذا تم الجمع فيها بين الجانبين(القصدي والتلقائي) يكون لذلك أثر فعال على العمل الفني الطباعي المعاصر. خاصة وأن الوسائط التشكيلية المستحدثة في مجال الطباعة والناتجة عن التقدم العلمي في تكنولوجيا الخامات والأدوات أثر في ظهور الجانب التلقائي بشكل جلي، وتطورت طرق الأداء وتناول التقنيات والاستحداث فيها، وامتد التطور ليشمل الحرية في الأداء والتعبير بطلاقة ومرونة ، وإطلاق العنان للخيال، والمحاولات التعبيرية التلقائية. وتتحدد مشكلة البحث في الإجابة عما إذا كان لتطويع العلاقة بين الجانبين القصدي والتلقائي أثر في زيادة فاعلية العملية الابتكارية لصياغة العمل الفني الطباعي المعاصر.

Contemporary Print Art Amid Spontaneity & Purposefulness

Summary Of research

There are multiple views on the importance of purpose fullness & spontaneity to finish art work generally in plastic arts. Some support the domination of purposefulness others stress spontaneity. However, manual print is an area with the ability to combine both dimensions with an impact on contemporary print art work, particularly since plastic media improvised from the print, resulting from scientific progress in material and tool technology leading to the emergence of spontaneity immensely, affecting performance style, use of technology, devise of techniques extending to include freedom in fluent expression, flexible and unfettered imagination, as well as the spontaneous expressive attempts.

The research problem is summarized in answering the issue of bringing the relationship between both purposefulness and spontaneity thus increasing the effectiveness of innovation process while formulating contemporary print art work.